

عدة الداعي

[195] فقال: كان وا [بعيد المدى (1) شديد القوى يقول: فضلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته، وكان وا [غزير العبرة (2) طويل الفكرة يقلب كفيه ويخاطب نفسه ويناجي ربه، يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جش (3) كان وا [فينا كأ حدنا يدنينا إذا أتيناه ويجيبنا إذا سئلناه، وكنامع دنوه منا وقربنا منه لا نكلمه لهيبته ولا نرفع أعيننا إليه لعظمته، فان تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوى في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله. وأشهد با [لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله (4) وغارت نجومه وهو قائم في محرابه قابض على لحيته يتململ تمللم السليم (5) ويبكى بكاء الحزين، فكأنني الآن أسمعه وهو يقول: يا دنيا يا دنيا أبى تعرضت ام الى تشوقت ؟ هيهات هيهات (لاحان حينك) غرى غرى لا حاجة لى فيك قد طلقتك ثلاثا لا رجعة (لى فيك) فيها، فعمرك قصير وخطرك يسير وأملك حقير آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق وعظيم المورد فوكفت دموع معاوية (لعنة ا [) على لحيته فنشفها بكمه واختنق القوم بالبكاء، ثم قال: كان وا [أبو الحسن كك، فكيف كان حبك اياه ؟ قال: كحب ام موسى

_____ (1) المدى بفتحيتين: الغاية والنهاية، ومنه الحديث من اوصى بثلاث ماله فقد بلغ المدى (المجمع). (2) العبرة بالفتح فالسكون: تحلب الدمع، أو تردد البكاء في الصدر ج عبرات (المجمع). (3) في الحديث كان رسول ا [(ص) يأكل الجشب - هو بفتح الجيم وسكون الشين - الغليظ الخشن (المجمع). (4) أرخيت الستر: أرسلته. السدول جمع سدل - بفتحيتين - هو ما اسبل على الهودج (برده) (المجمع). (5) يتململ على فراشه إذا لم يستقر من الوجد (ص) السليم: اللديغ أو الجريح الذى اشرف على الهلاك (المجمع) (*). _____